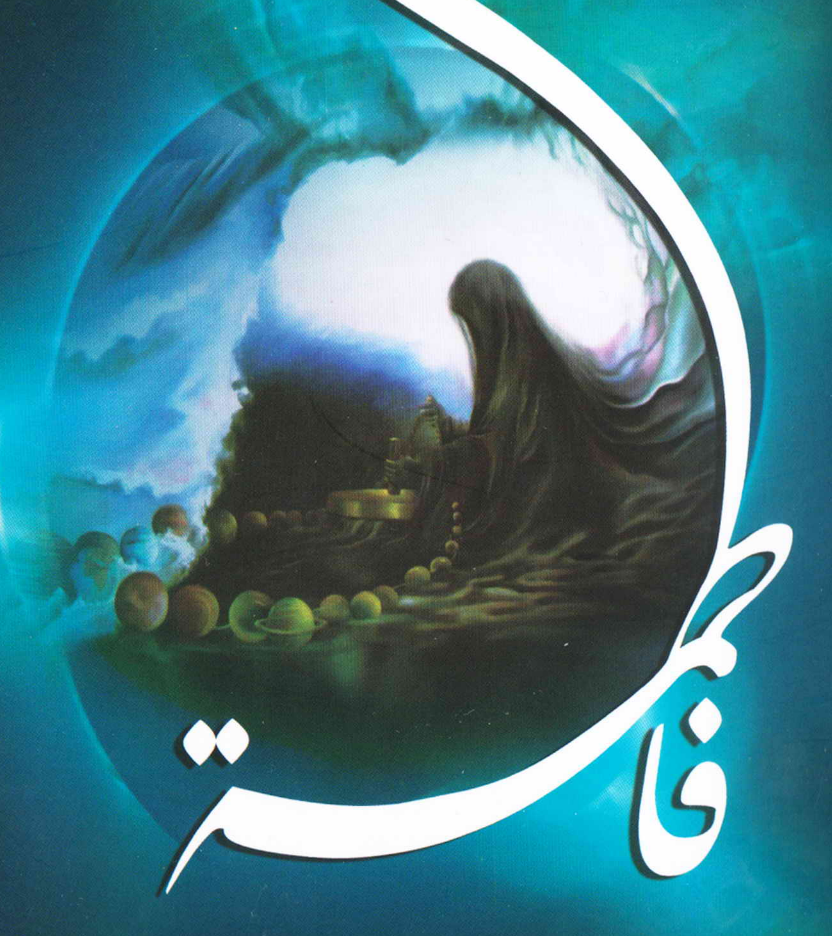
وما أدراك من فاطمة



سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي



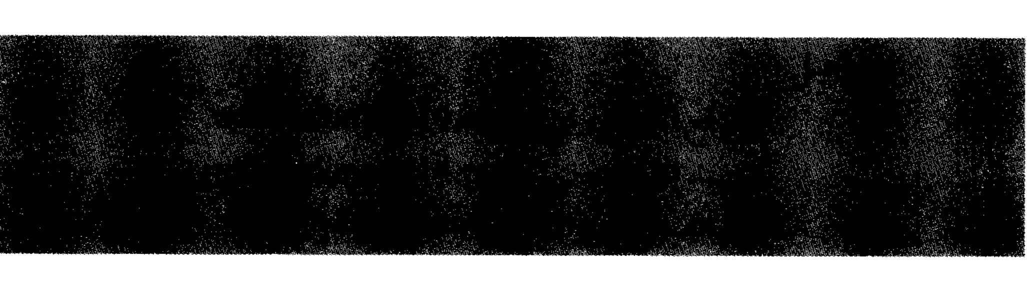
وما أدراك من فاطمة

سماحة آية الله العظمى المرجع الديني المحقق

السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله)

الناشر





دار المؤمل للطباعة والنشر
بيروت - لبنان
شارع بئر حرة

الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م


بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

كلمة الناشر



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين واللعن الدائم على أعدائهم من الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدين.

إن من النتائج المباشرة التي يتوصل إليها من يقوم بدراسة تاريخ الإسلام في العصر الأول على واقعه دراسة موضوعية مجردة عن العواطف التقليدية فإنه يقف على عمق المؤامرة التي دبرت ضد أهل البيت عليهم السلام فقد استهدفت بصورة متعمدة إبعادهم عن الحياة السياسية وإقصائهم عن الدولة وما يرتبط بها من شؤون، حيث تهالك القوم على السلطة وزعامة الأمة الإسلامية والظفر بخيرات البلاد، وقد أعاروا ما أُثر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أُذنًا صماء وجعلوا أحاديثه فيهم من المهملات، وقد عانت الأمة من جراء ذلك أعنف المشاكل وامتحنت كأقسى ما يكون الامتحان.

ولذلـك وقفت فاطمة الزهراء عليها السلام في وجه المؤامرة وقد كان مـن ثمرات مناهضتها لحكومة أبي بكر هو تأسـيس مذهب أهل البيت عليهم السلام الذي يمثل أصالة الإسـلام، وعمق تشـريعاته، وبدائع أحكامه، وإن الخطاب التاريخي البالغ الأهمية الذي ألقته في جامع أبيها والذي وضعـت فيه النقاط على الحـروف، وأعربت من خلالـه عن الأخطار الهائلة التي سـتعانيها الأمة الإسـلامية في مسـيرتها، وما ستواجهه في مسـتقبلها مـن الأزمات الناجمـة عن صـرف الخلافة عن أهـل البيت عليهم السلام ولولا تلك الوقفة التاريخية العظيمة والإصرار على إثبات الحق وتوضيح منهج رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتأكيد عليه، لضاع الإسـلام وفقد المسـلمون طريقهم وتحولت أهداف تلـك الثورة الربانية العظيمة إلى نقيضها بامتياز.

ولأهميـة تلك الوقفة الخطيرة والحساسـة والحاسـمة والتأكيد عليهـا قامـت فاطمة الزهـراء عليها السلام بتعزيـز موقفها الرافـض لحكومة أبـي بكـر بوصيتهـا الذائعـة لزوجها الإمـام علي بن أبـي طالـب عليه السلام فمـن جملـة بنودهـا أن يـواري جسـدها الطاهر فـي غلـس الليل، ولا يحضر تشييع جنازتها أحد من الذين هضموها وغصبوا حقها، وذهبت شـريحة من المسلمين إلى التمسـك بأهل البيت عليهم السلام وصار الإيمان بهـم جـزءً لا يتجزأ مـن حياتهم العقديـة، وتبنّوا بصـورة إيجابية ما أُثر عنهم في المجالات التشريعية لا يتعدّونه إلى غيرهم من بقية المذاهب الإسـلامية، وأصبحـت تلـك الوصيـة عنـوان تأكيـد علـى المؤامـرة ومرتكبيها و-أيضًا- الإصرار على رفضها.

وبمناسبة ذكرى استشهاد فاطمة الزهراء عليها السلام تغتنم مؤسسة الأنوار الأربعة عشر عليهم السلام الثقافية هذه الذكرى العظيمة وتضع بين أيدي القراء الكرام كتاب (وما أدراك من فاطمة) لسماحة آية الله العظمى المرجع الديني السيد صادق الحسيني الشيرازي -دام ظله الوارف- وهو عبارة عن مجموعة من الأسئلة حول نقاط تاريخية في حياة العظيمة الزهراء عليها السلام أجاب عنها -سماحته- بشيء من التفصيل.

مؤسسة الأنوار الأربعة عشر عليهم السلام الثقافية

٢٨/ ٢/ ١٤٣٢هـ

بسم رب فاطمة

المقدمة

.. كان الوجود، كل الوجود مفعماً بالحزن والحسرة والغم، وكنت تعباً من كل شيء، وبسبب كل شيء، وكنت غارقاً في أفكاري.. يا إلهي الرحيم واللطيف.. إلى أين أذهب؟ ولمن أقول؟ كنت حائراً إلى أين ولمن ألجأ؟!

طرق ذاتي صوت ليس بالغريب.. نعم، كان صوتاً حنوناً ولطيفاً، صوت مرجع تقليدي؛ سماحة آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي حفظه الله، حيث قال في إحدى خطبه:

«توسلوا بالصديقة الزهراء عليها السلام وبحديث الكساء الشريف في المصاعب والشدائد..».

فتناولت بسرعة كتاب «مفاتيح الجنان» لثقة المحدثين ؛ الحاج الشيخ عباس القمي رحمه الله، وكانت عيناي تبحثان في أخريات الكتاب عن حديث الكساء، فوجدته، وكانت عباراته هي الأروع، إذ جاء فيها:

«عَنْ فَاطِمَةَ الزَّهْراء عليها السلام أَنَّهَا قالَتْ...» فجرت الدموع من ناظري، ولم أعرف على أي المصائب أبكي.. على آلامي الشخصية، أم على المصائب والمآسي الفاطمية التي لا تعرف الانتهاء؟!

ولكن! حيث انتهيت من قراءة حديث الكساء.. لمست طمأنينة لا توصف قد استولت على روحي ونفسي.. وكأن جراح آلامي قد التأمت، رغم أن قراءة هذا الحديث الشريف قد ألهبت النار الخامدة في قلبي.. بلى يا فاطمة الصديقة! حقاً، ماذا تعني كلمة فاطمة؟

فاطمة؛ صرخة بوجه الظلم!

فاطمة؛ تعني التضحية في سبيل العقيدة!

فاطمة؛ تعني لهيب بيت الأحزان!

فاطمة؛ تعني الاحتراق لإمام زمانها!

فاطمة؛ تعني الأرق لآلام الضلع!

فاطمة؛ تعني الدفاع عن أول مظلوم.. علي عليه السلام!

وكما قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنما سميت ابنتي فاطمة، لأن الله عز وجل فطمها وفطم من أحبها من النار»[1].

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: المجلد ١، ص ٥١، الغدير: المجلد ٣، ص ١٧٦، بيت الأحزان: الشيخ عباس القمي رحمه الله ص ٢٤، بحار الأنوار: المجلد ٤٣، ص ١٢، والمجلد ٦٥، ص ١٣٣، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام: المجلد ٢،

بلى؛ إن كل شيء فاطمة...

ولكنني أشعر الآن بوجود أسئلة كثيرة تدور في ذهني عن شخصية القدسية الزهراء عليها السلام.. فهي ذات الشخصية العظيمة التي قال عنها نبي الإسلام الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «فاطمة حوراء إنسية، فكلما اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي فاطمة»[1].

ص ١٨٨، شرح إحقاق الحق، آية الله المرعشي النجفي: المجلد ١٠، ص ١٥، الفصول المهمة في تأليف الأمة: ص ٤٩، إعلام الورى بأعلام الهدى: مجلد ١، ص ٢٩١، ذخائر العقبى: ص ٢٦، مناقب آل أبي طالب عليهم السلام: المجلد ٣، ص ١١٠، الدر النظيم: ص ٤٥٦، كشف الغمة: المجلد ٢، ص ٩١، ينابيع المودة: المجلد ٢، ص ١٢١، العدد القوية: ص ٢٢٧، الأسرار الفاطمية: ص ٣٧٥، كنز العمال: المجلد ١٣، ص ١٠٩، أمالي الشيخ الطوسي: ص ٢٩٤، نوادر المعجزات: ص ٨١.

(١) الغدير: المجلد ٣، ص ١٨، بحار الأنوار: المجلد ٤، ص ٤، والمجلد ٨، ص ١١٩، والمجلد ١٨، ص ٣٥١، والمجلد ٣٧، ص ٨٢، والمجلد ٤٣، ص ٤، والمجلد ٤٤، ص ٢٤١، العوالم، الإمام الحسين عليه السلام ص ١٢١، الاحتجاج: المجلد ٢، ص ١٩١، أمالي الشيخ الصدوق: ص ٥٤٦، روضة الواعظين، ص ١٤٩، مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: المجلد ٢، ص ١٩١، المحتضر: ص ٢٣٩، كشف الغمة: المجلد ٢، ص ٨٧، مناقب آل أبي طالب عليهم السلام: المجلد ٣، ص ١١٤، تفسير قراءات الكوفي: ص ٧٦، تفسير مجمع البيان: المجلد ٦، ص ٣٧، تفسير نور الثقلين، المجلد ٢، ص ٥٠٢، الخصائص الفاطمية، المجلد ٢، ص ٥٤١، بيت الأحزان الشيخ عباس القمي رحمه الله: ص ١٨، الأسرار الفاطمية: ص ٣٢٣، شرح إحقاق الحق آية الله المرعشي النجفي: المجلد ١٠، ص ٦.

ونقلت هذ الرواية الشريفة بهيئة حديث قدسي بألفاظه: «... فأوحى الله عزَّ وجَلَّ إليَّ أنْ قَدْ ولِدَ لَكَ حَوراء إِنسيَّة...»، بحار الأنوار: المجلد ٣٦، ص ٣٦١، مدينة المعاجز: المجلد ٣، ص ٢٢٥.

وقال صلوات الله عليه وآله أيضاً: «فأما ابنتي فاطمة؛ فهي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين»[١].

وهي الشخصية التي قال عنها الله تعالى لنبيه: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾[٢][٣].

نعم، هي أسئلة كثيرة عن شفاعة الصديقة الطاهرة، وعصمتها عليها السلام، وعن حديث الكساء، وفدك، ودفاعها عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام.. وآلام ومصائب السيدة الزهراء اللامتناهية.. والخلاصة، هي: فاطمة، فاطمة، فاطمة!.

---

(١) أمالي الصدوق: ص ٧٨، بيت الأحزان الشيخ عباس القمي رحمه الله: ص ٤٧، بحار الأنوار: المجلد ٢٨، ص ٣٨، والمجلد ٣٦، ص ٢٢٦، والمجلد ٤٣، ص ٢٤، دلائل الإمامة: ص ١٤٩، مناقب آل أبي طالب عليهم السلام: المجلد ٣، ص ١٣٥، الفضائل شاذان بن جبرئيل: ص ٩، مشارق أنوار اليقين: ص ٨٤، غاية المرام: ص ٦٧، المحتضر: ص ١٩٧.
وكذلك ورد مضمون هذه الرواية الشريفة في الأدعية والزيارات الكثيرة لأهل البيت عليهم السلام مثل مصباح المتهجد، ص ٧١١، تهذيب الأحكام: المجلد ٦، ص ١٠، بحار الأنوار، المجلد ٩٧، ص ١٩٥، والمجلد ٩٩، ص ٢٣٦، مزار بن مشهدي: ص ٨٠، إقبال الأعمال: المجلد ٣، ص ١٦٤، مزار الشهيد الأول: ص ٢٢.

(٢) ذكرت كلمة «أعطيناك» وكذلك كلمة «الكوثر» مرة واحدة فقط في القرآن الكريم.. وقد وردت أقوال وروايات عديدة في تفسير لفظة الكوثر.
قال العلامة الطباطبائي رحمه الله في تفسير الميزان في ذيل الآية الشريفة، وبعد نقل بعض الأقوال فيها: هناك أكثر من (٢٥) قولاً عن كلمة الكوثر ومعناها وتفسيرها.

(٣) سورة الكوثر، الآية ١.

وفي النهاية، يممت شطر مدينة قم المقدسة لزيارة السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام [1] ثم قصدت مرجع تقليدي الذي كنت أعرف توفيقي للقائه متى ما أردت.. قصدته لأحصل على أجوبة جميع أسئلتي الخاصة بالصديقة الزهراء عليها السلام منه مباشرة.

دخلت غرفته المتواضعة، وحظيت بحنانه ومحبته الأبوية.. وقلت: لدي أسئلة عن السيدة الزهراء عليها السلام وأطلب منكم الإجابة عنها شخصياً.. فاستجاب لطلبي متفضلاً، ولكنه قبل أن أتلو عليه الأسئلة، أورد مقدمة بالمضمون أدناه:

(١) قال الإمام الصادق عليه السلام: «إن لله حرماً وهو مكة، ولرسول الله صلى الله عليه وآله حرماً وهو المدينة، ولأمير المؤمنين عليه السلام حرماً وهو الكوفة، ولنا أهل البيت حرماً وهو قم.. وستدفن في مدينة قم امرأة من ولدي واسمها فاطمة، من زارها وجبت له الجنة».

وكذلك ورد في رواية أخرى: «ثم هي الكوفة الصغيرة، وإن للجنة ثمانية أبواب، يفتح منها ثلاثاً على قم.. وستدفن فيها امرأة من ولدي اسمها فاطمة وسيدخل جميع شيعتي الجنة بشفاعتها».

وورد في كثير من الروايات أن مدينة قم المقدسة هي «ملجأ الشيعة» وقال الإمام موسى الكاظم عليه السلام: «قم عش آل محمد عليهم السلام وملجأ شيعتهم و...».

بحار الأنوار: المجلد ٥٧، ص ٢١٤، الكنى والألقاب: المجلد ٣، ص ٨٧.

وهناك عشرات الروايات الأخرى تشير إلى جلالة وعظمة السيدة الصديقة فاطمة المعصومة عليها السلام وزيارتها، بما يدل على فضائل مدينة قم المقدسة.



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين.

فاطمة عليها السلام محور أهل البيت عليهم السلام

جاء في حديث «الكساء» القدسي الذي روته الصديقة الكبرى عليها السلام: حينما سأل جبرئيل ربه المتعال عمّن تحت الكساء.. أجابه الله تعالى أن الذين هم تحت الكساء:

«هم فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها عليهم السلام»[1].

وهذه الطريقة الربانية في التعريف، طريقة لا نظير لها، إذ لا ريب في أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من ابنته الزهراء عليها السلام.. وكذلك نحن نصلي ونسلم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ابتداءً، ثم نصلي ونسلم على أهل بيته عليهم السلام.

ومن جهة أخرى، فإن قاعدة التعريف تقضي بتعريف الفرد

(١) حديث الكساء، ملحقات مفاتيح الجنان (ط، الفيض الكاشاني)، ص ١٠١٧.

الأعلى ثم ما دونه درجة.. إلا أن حديث الكساء الشريف عمل فيه خلاف الأصل والقاعدة.. إذ الله سبحانه وتعالى ذكر السيدة الزهراء عليها السلام أولاً باعتبارها المحور في هذا النص المقدس..

فلماذا عرّف الله تعالى الرسول وأهل بيته عليهم السلام عن طريق الزهراء عليها السلام رغم أن الملائكة كانوا يعرفونهم جيداً؟..

الجواب هو أن هذه الطريقة في التعريف تحكي وتعبر عن المنزلة والمقام السامي لهذه السيدة الجليلة، وقد أشار الله تعالى من خلال هذه العبارة المختصرة إلى جلالة مرتبة السيدة الزهراء عليها السلام.

إظهار المحبة لفاطمة

يرتقي عدد الأحاديث الكاشفة عن مقام ومنزلة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام إلى مئات وآلاف الأحاديث، ولو أن أعداء الفضيلة لم يعرضوا أحاديث وروايات أهل البيت عليهم السلام إلى نيران أحقادهم، لكان العدد أكبر من ذلك بكثير. وإحدى هذه الروايات ما نقلت عن طرق الشيعة، وقد ذكرت كذلك عن طرق المخالفين، إذ جاء فيها:

قال ابن عباس: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد سجد خمس سجدات، بلا ركوع أو عمل آخر»!

فسألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنها، فقال:

«أخبرني جبرئيل: إن الله يحب علياً، فسجدت شكراً، ثم قال: إن الله يحب فاطمة، فسجدت سجدة الشكر، فقال جبرئيل: إن الله

يحب الحسن، فسجدت أيضاً شكراً، ثم قال: إن الله المتعال يحب الحسين، فسجدت أخرى.. ثم قال: إن الله يحب محبيهم، فسجدت سجدة الشكر..»[١].

فإذا سأل أحدهم: من هم محبو أهل هذا البيت؟ فلا ريب أنكم وأمثالكم من جملة محبي أهل هذا البيت.. والنبي ﷺ سجد شاكراً لله، عرفاناً لمحبة الله محبي أهل البيت عليهم السلام.

ترى ما هي مسؤوليتنا تجاه ذلك؟ وكيف نشكر الله تعالى حيث أصبحنا محط محبة الله بعد أن أحببنا أهل البيت عليهم السلام؟

الجواب هو: نستطيع التوجه بالشكر لهذه النعمة حيث نعلن ونكشف عن محبتنا واتباعنا للصديقة الطاهرة عليها السلام.

لمحة من جلال الصديقة فاطمة

كشف رسول الله ﷺ قبيل استشهاده أسراراً لابنته فاطمة عليها السلام، فقال لها -فيما قال-: «.. ليس أحد من نساء العالمين أعظم رزية منك..»[٢].

(١) الأمالي للمفيد: ص ٢١، بحار الأنوار: المجلد ٦٥، ص ١١١، جواهر الكلام: المجلد ١٠، ص ٢٣٥، مستدرك الوسائل: المجلد ٥، ص ١٥٠، الحديث ٣، وسائل الشيعة: المجلد ٤، ص ١٠٨٠، والمجلد ٧، ص ١٩، حلية الأبرار للبحراني: المجلد ١، ص ٣٣٦.

(٢) الآحاد والمثاني: المجلد ٥، ص ٣٦٩، مجمع الزوائد: المجلد ٩، ص ٢٣، كنز العمال: المجلد ١٣، ص ٦٧٧، شرح إحقاق الحق آية الله المرعشي النجفي: المجلد ١٠، ص ٣٠٨.

وقد بدأت مأساة هذه المصيبة وصعوبتها بسبب خيانة شورى السقيفة، وكان الأعداء يعلمون جيداً أن الزهراء وزوجها أمير المؤمنين عليه السلام وطبقاً لوصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم هما حافظا الدين الإسلامي، ولذلك؛ فإن كريمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهضت بين الجموع وألقت خطبتها النارية دفاعاً عن حقها وعن الولاية المطلقة لسيد أوصياء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أي علي بن أبي طالب عليه السلام ألقتها وهي تواجه الحاكم الجائر..

واعلموا أن الذين يمتنعون عن قول الحق أمام الجبارين والمعاندين، ليسوا من الصالحين ولا من المتقين..

وإن كانوا يصلّون أو يصومون، لأنهم سلمٌ للظالمين، ويبررون أعمال الظالمين بصمتهم، ومثل هؤلاء الحكام يرحبون باستسلام الناس لهم، ولا يعيرون اهتماماً لصلاة الناس وصومهم، بل ولا يخافون من الرعية إذا ما صلوا أو لم يصلوا..

ولكن الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام لم تتنازل عن قول الحق أمام حكام الجور، مع أن هذا الأمر كلفها حرمانها من الطمأنينة والراحة.. بل إنها دفعت ثمناً أغلى من ذلك بكثير من أجل كلمة الحق..

كرامة الاسم المقدس لفاطمة عليها السلام

لا يزال مئات الملايين من المؤمنين يستفيدون من الكتاب الشريف الموسوم بـ«مفاتيح الجنان».. فلماذا يا ترى انفرد هذا الكتاب بهذا الشرف الكبير من بين جميع كتب المرحوم الحاج الشيخ عباس القمي رحمه الله؟

نقل أحد المؤمنين قائلاً: رأيت المرحوم الشيخ عباس القمي في الصحن المطهر لأمير المؤمنين عليه السلام [١] معتمداً على جدار الصحن بصعوبة، فسألته عن سبب وقوفه في ذلك المكان..

فقال رحمه الله: إني أتحرق حسرة حينما أرى المؤمنين يستطيعون لمس الضريح المقدس لأمير المؤمنين عليه السلام ويحتضنونه..

قلت: انظر إلى الزائرين حينما يدخلون الحرم المطهر لأمير المؤمنين عليه السلام: إنهم يحملون كتاب مفاتيح الجنان.. إنك في الحقيقة تدخل مع كلٍ منهم..

ترى كيف نال المرحوم الشيخ عباس القمي هذه الفضيلة الكبرى؟

وقد سئل رحمه الله عن سبب الشهرة والنجاح اللذين نالهما كتاب مفاتيح الجنان من بين مؤلفاته..

فأجاب قائلاً: هذه الخصوصية من بركة الاسم المقدس للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام لأنني ألفت وجمعت هذا الكتاب بنية واسم الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام...

ألطاف إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف

قال بشار المكاري: زرت الإمام الصادق عليه السلام حينما كان في الكوفة[٢]

---

(١) تعود هذه الحادثة إلى أخريات حياة المرحوم الشيخ عباس القمي.

(٢) نفى المنصور الدوانيقي -لعنه الله- الإمام الصادق عليه السلام مراراً من المدينة إلى الكوفة، ووقعت هذه الحادثة لدى وجود الإمام في الكوفة.

وكان أمامه طبق من تمر طبرزد[1] يتناول منه، فقال لي: «يا بشّار، تقدم وكل من هذا التمر».

فقلت له: هنيئاً، جعلت فداك، لقد رأيت أمراً في طريقي وأزعجني، فلا رغبة لي في الأكل..

فقال عليه السلام: «بحقي عليك إلا ما تقدمت وأكلت من هذا التمر».

فاقتربت وتناولت قليلاً من التمر، ثم قال الإمام الصادق عليه السلام: «ما رأيت فآلمك؟».

فقلت: رأيت في الطريق أحد عمال الحكومة يضرب امرأة بالسوط «أو العصا» ويسوقها إلى السجن، بينما كانت المرأة تصرخ وتقول: أطلب العون من الله ورسوله.. ولكن لم ينجدها أحد..

فسأل الإمام الصادق عليه السلام قائلاً: «ولماذا كان عامل الحكومة يضربها؟»

فقلت: لم أرَ بنفسي، ولكن الناس كانوا يقولون: إن المرأة عثرت فقالت: «يا فاطمة! لعن الله الظالمين لحقك.. فقام عامل الحكومة بضربها لما سمع ذلك منها..».

فرأيت الإمام الصادق عليه السلام يرمي التمر عن يده فجأة، وراح يبكي ويذرف الدموع حتى ابتل صدره ومنديله...

(١) نوع من التمر، وبسبب شدة حلاوته، يشبهونه قائلين: سكر طبرزد.

ثم قال: «قم بنا يا بشار إلى مسجد السهلة لنسأل الله خلاص هذه المرأة».

وفي وسط الطريق أرسل الإمام الصادق عليه السلام رجلاً من الشيعة إلى قصر الإمارة، وأوصاه أن ينظر في عاقبة ومصير تلك المرأة، ثم يخبره، مؤكداً عليه أن لا يترك المكان حتى يأتيه بالخبر..

قال بشار: فدخلت مسجد السهلة مع الإمام، فصلينا ركعتين، ثم رفع الإمام الصادق عليه السلام يديه نحو السماء وقال في دعائه: «أنت الله لا إله إلا أنت..» وأتم دعاءه وسجد.. وكنت لا أسمع من الإمام إلا صوت تنفسه، ثم رفع رأسه عن السجود وقال: «قم، فقد أطلقت المرأة..».

فخرجنا من المسجد، وفي الطريق جاء الرجل الذي أرسله الإمام عليه السلام فسأله عن الخبر..

فقال: لقد أطلقها الحاكم.

فسأله الإمام عليه السلام: «وكيف أطلقها؟».

فقال الرجل: لا أدري، ولكنني حينما كنت إلى جانب قصر الإمارة، قال الحاجب للمرأة: ماذا قلت؟

فقالت المرأة: حينما سقطت إلى الأرض قلت: يا فاطمة! لعن الله الظالمين لحقك.

ثم سلمها الحاجب مئتي درهم وقال لها: أبرئي ذمة الأمير.. فلم تأخذها المرأة، فأخبر الحاجب أميره، وحينما عاد قال للمرأة ثانية:

أنت حرة طليقة.. فغادرت المرأة إلى بيتها..

فسأله الإمام الصادق عليه السلام قائلاً: «لم تأخذ المرأة المائتي درهم؟»

فقال الرجل: هي ردتها، ووالله لقد كانت بحاجة إليها..

فأعطاه الإمام الصادق عليه السلام كيساً فيه سبع دنانير، وقال له: «اذهب لبيت المرأة، وأبلغها سلامي، وأعطها هذه الدنانير».

قال بشار: فذهبت معه إلى بيت تلك المرأة وأبلغناها سلام الإمام..

فقالت من فرط سعادتها: بالله عليكما هل سلم عليَّ جعفر بن محمد عليه السلام؟

فقلنا: لقد عمك الله برحمته، والله لقد سلم عليك جعفر بن محمد عليه السلام فوقعت المرأة مغشياً عليها، وحينما أفاقت، طلبت منَّا أن نعيد عليها ما أخبرناها.. فاستجبنا لها وأعدنا عليها سلام الإمام ثلاثاً، وأعطيناها دنانير الإمام..

فتناولتها وقالت: اطلبوا من الإمام الصادق عليه السلام أن يدعو لي أنا الخادمة بالعفو والمغفرة، لأنني لا أعرف مثله ومثل آبائه خيراً منهم وسيلة إلى الله...[1]

(١) بحار الأنوار: المجلد ٤٧، ص ٣٧٩، مزار بن مشهدي: ص ١٣٦، مزار الشهيد الأول: ص ٢٥٤، فضل الكوفة ومساجدها: ص ٤٨، جامع أحاديث الشيعة: المجلد ٤، ص ٥٥٦، الأسرار الفاطمية: ص ٣٨٨، مستدرك الوسائل: المجلد ٣، ص ٤١٩.

وحينما سمع الإمام الصادق عليه السلام قصة المرأة بكى بكاءً طويلاً، واتجه إلى مسجد السهلة، ودعا للمرأة التي تعرضت للأذى لما ذكرت من ولائها للسيدة الزهراء عليها السلام وبراءتها من أعدائها وظالميها.

فهل يمكن تخيل تجاهل إمام الزمان -عجل الله تعالى فرجه الشريف- لخدماتكم وتفانيكم في طريق الصديقة الزهراء عليها السلام أو لا يدعو لكم؟ .. لا ريب في عدم إمكانية ذلك!

إن كل ما يبذل من جهود وخدمات في سبيل أهل البيت عليهم السلام وعلى الخصوص الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام التي اعتبرت محوراً في حديث «الكساء» يعد توفيقاً إلهياً، وإن كل من يواجه المصاعب في طريق السيدة الزهراء عليها السلام ويتعرض للضيق.. فإن له أجره وجزاءه الأوفى عند الله تبارك وتعالى، وعكس هذا الأمر صحيح، ومتوقع أيضاً.

وفي خاتمة هذه المقدمة، وحيث نقترب من حلول الأيام الفاطمية، أرى من الضروري التذكير بالأمرين التاليين:

١- تعظيم الشعائر الفاطمية

كل فرد منا مسؤول وملزم بتعظيم الشعائر المتعلقة بالصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام وأن لا نتكاسل عن أي نوع من الخدمة، لأن تعظيم الشعائر الفاطمية تعظيم لشعائر الله سبحانه وتعالى.

وكذلك ينبغي أن تكون المجالس الفاطمية مجالس حية وواعية،

وعليكم أن تؤدوا شعيرة الإطعام ما استطعتم، ومن الضروري جداً أن نعلم بأن السيدة الزهراء عليها السلام، في غنىً تام عن إحياء هذه الشعائر، وأن الفائدة الكبرى تعود علينا..

إن خدمة الصديقة الزهراء عليها السلام أفضل أنواع الخدمة، وهي أكثر الأعمال فائدة وصلاحاً، وينبغي مضاعفة الجهود والمساعي في هذا الطريق.

٢- نشر الثقافة الفاطمية

هل تعلمون لماذا ذهبت السيدة الزهراء عليها السلام إلى المسجد، وألقت خطبتها الغراء الخالدة؟ ولماذا أنَّ الوجود لأنينها، فأبكت جميع الناس؟ بل ولماذا تعرضت للضرب والشتم وأنواع الأذى؟ لماذا؟ ولماذا؟

.. إنه للإبقاء على الإسلام حياً، وتخليد النداء الصادح بالشهادة: «أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، وأشهد أن علياً ولي الله».

وهذا ليس هدف الزهراء البتول عليها السلام فحسب، وإنما كان هدف أبيها وزوجها وأولادها عليهم السلام.. ومسؤوليتنا أن نسعى لتحقيق هذا الهدف بما أوتينا من قوة ووعي..

إننا نعيش في عالم غريب عن أهداف وسيرة فاطمة الكبرى عليها السلام ومسؤوليتنا -نحن وأنتم- أن نوضح ونعلن تلك الأهداف

الفاطمية وننشرها في شتى أرجاء الدنيا، لأنكم بداعي حبكم الزهراء عليها السلام موضع حب الله، وقد سجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم شاكراً لربه لهذه المحبوبية..

ولعلَّ إحدى نماذج ومصاديق إحياء اسم وذكرى السيدة الزهراء عليها السلام أن تشجعوا صغاركم على حفظ خطبة الزهراء البتول، وذلك لأن هذه الخطبة الغراء تعتبر خلاصة التعاليم والمعارف الإسلامية.

«وصلى الله على محمد وآله الطاهرين».

السؤال الأول

سؤالي الأول حول حديث «الكساء» الذي به تقضى الحوائج وتزال بقراءته الشدائد والصعاب، وقد حدث أن حُلت بوسيلته الكثير من أزماتنا، وإن لكثير من محبي أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام أنساً خاصاً بهذا الحديث الشريف.. ومع ذلك، نلاحظ أن البعض يطعنون فيه، مما يتسبب بإزعاج وألم كبيرين لقلوب المؤمنين ومحبي الصديقة الزهراء عليها السلام مثل قولهم بأنه لا سند لهذا الحديث، أو أن الزهراء عليها السلام لم تروِه، ولم ينقل عنها..

ما رأي سماحتكم بهذا الخصوص؟

الجواب

لا ننسى أن أصحاب الشبهات طالما هاجموا عقائد ومبادئ الشيعة، وينبغي أن نقول بهذا الصدد: إن مثل هذه الأقاويل والشبهات تؤلم قلب الصديقة الزهراء عليها السلام والقلب الرؤوف لبقية الله الأعظم

-عجل الله تعالى فرجه وروحي له الفداء- قبل أن تجرح قلوب المؤمنين المحبين.

إن حديث الكساء الشريف من جملة شعائر التشيع و الإسلام، وهو من شعائر الله، ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[1]؛ وهو حديث قدسي صادر عن الله تعالى، قد نقلته الصديقة الزهراء عليها السلام ومعلوم أن رد أو نفي النقل عن السيدة الزهراء عليها السلام له عواقب سيئة جداً..

وخلافاً لأصحاب الشبهات الجهلة، فإن هذا الحديث القدسي يحظى بمسانيد معتبرة مذكورة في أهم المصادر الشيعية، ونشير إلى بعض هذه المصادر بصورة مختصرة...:

أول سند معتبر هو كتاب: «غرر الأخبار ودرر الآثار في مناقب الأخيار» تأليف الشيخ حسن بن علي بن محمد الديلمي رحمه الله وهو من أعلام ومفاخر الشيعة.

والكتاب الآخر: «المنتخب الكبير في المراثي والخطب» تأليف الشيخ فخر الدين بن محمد علي بن أحمد بن طريح النجفي رحمه الله وهذا الكتاب معروف باسم «منتخب الطريحي» وقد نقل هذا الحديث الشريف في مجلده الثاني.

ومن مصادر حديث «الكساء» القدسي الأخرى، الجزء الحادي عشر من كتاب: «عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار

(١) سورة الحج، الآية ٣٢.

والأقوال» تأليف العالم الجليل الشيخ عبد الله البحراني رحمه الله...

والكتاب الآخر: «نهج المحجة في فضائل الأئمة عليهم السلام»[١].

(١) لمزيد من التوضيح نقول: أول سند لحديث الكساء القدسي ورد قبل القرن السادس، وطبقاً لشهادة المرحوم آية الله آغا بزرك الطهراني رحمه الله، فإن لحديث الكساء مسانيد كثيرة وردت في كتاب «الغرر والدرر» وكتب المحقق الكبير ومصنف الشيعة آية الله السيد حسن الصدر رحمه الله: «السيد محمد بن السيد إبراهيم.. الموسوي الجبعي الشحوري، جدنا الأعلى.. تلميذ الشيخ محمد باقر السبزواري رحمه الله صاحب كتاب «الذخيرة» من مؤلفاته الباقية قصيدة نونية كبيرة، أورد فيها حديث الكساء بنفس الكيفية التي أوردها المرحوم الطريحي في «منتخبه» وقد جاء بها منظومة، كتاب «تكملة أمل الآمل» ص ٣٣٥ - ٣٣٧.

وكتب الشيخ آغا بزرك الطهراني رحمه الله: «أرجوزة في حديث الكساء» من نظم العلامة السيد محمد بن السيد معز الدين محمد المهدي الحسيني القزويني الحلي، المتوفي ١٣٣٥ قمرية، في خمسين بيتاً، وقد أوردها العلامة السيد محمد صادق آل بحر العلوم في كتاب «مجموع الروانق»، كتاب الذريعة، المجلد ١، ص ٤٧٠.

يقول آية الله المرعشي النجفي: نظم هذا الحديث الشريف عدة من الشعراء والأدباء من أصحابنا نحن «الشيعة» من أجودهم العلامة الفقيه الأديب آية الله أبو المعز السيد محمد ابن العلامة السيد مهدي القزويني الحلي المتوفي ١٣٣٥ قمرية، وكان في أسمى مقام الجلال، وكان من محبي والدي العلامة رحمه الله.

والناظم الآخر لهذا الحديث الشريف: الفاضل المعاصر والجليل الأستاذ الشيخ علي الخاقاني النجفي، وله قصيدة البابليات المعروفة وقد طبعت في مجلة «البيان»، كتاب شرح إحقاق الحق، المجلد ٢، ص ٥٥٨.

وكتب آغا بزرك الطهراني رحمه الله: «المحدث الماهر الحاج الشيخ محمد باقر البيرجندي صاحب كتاب «الكبريت الأحمر في شرائط أهل المنبر» نظم حديث الكساء، وطبع في سنة ١٣٤٣ قمرية» كتاب الذريعة، المجلد ١٧، ص ٣٦٠.

السؤال الثاني

السؤال الآخر الذي شغل ذهني، وأعجز عن طرح أسئلة أخرى ما لم تتضح لي الإجابة عنه، حول مسألة فدك.. تفضلوا في البداية: هل أن فدك -كما يقولون- كانت مزرعة أو بستاناً مثمراً؟ وعلى العموم، تفضلوا بتفصيل القول عن حقيقة فدك...

الجواب

كما ورد في كتاب «القاموس» أن فدك كانت قرية في منطقة خيبر، ولكن طبقاً لقول المشهور، وبناءً على المنقول في كتاب «المصباح» فإن فدكاً كانت مدينة تفصلها عن المدينة مسيرة يومين تقريباً. وطبقاً للمنقول في «معجم البلدان» فإن فدكاً كانت مدينة في الحجاز يفصلها عن المدينة يومان أو ثلاثة أيام...

وقسم من أراضي فدك، كان زراعياً مثمراً، وباقي أراضيها كان على شكل بساتين تمر، تتوسطها عين ماء فائرة[1]. وكانت محاصيل فدك كثيرة جداً، حتى أن متوسط حاصلها السنوي كان يعادل سبعين إلى مائة وعشرين ألف قطعة ذهبية، كما نقلوا[2].

وكذلك كتب: «طور سيناء» في شرح حديث الكساء، باللغة الفارسية، تأليف الحاج الشيخ علي أكبر النهاوندي في مشهد المقدسة، كتاب الذريعة، المجلد ١٥، ص ١٨١.

(١) معجم البلدان، المجلد ٤، ص ٢٣٨.

(٢) بحار الأنوار: المجلد ٢١، ص ٢٢، والمجلد ٢٩، ص ١١٠، ١١٤، ٣٤٨، تهذيب الأحكام: المجلد ١، ص ٤٢٤، الخرائج: المجلد ١، ص ١١٣.

وقال ابن أبي الحديد أيضاً: «كان نخيل فدك إذ ذاك مثل نخيل الكوفة حالياً»[١].

ويعود تاريخ فدك إلى «١٥٠٠» قبل الإسلام، وسميت بهذا الاسم بسبب أول شخص سكن أرضها «فدك ابن هام».

وهناك مسائل مرتبطة بفدك، وما قبل معركة خيبر، ومرتبطة بالنبي ﷺ إضافة إلى ما نقل عن النبي موسى -عليه وعلى نبينا وآله السلام- وأحد زهاد ذلك الزمان واسمه «ذرخاء» ووصيته لأولاده، وتفصيل ذلك وارد في كتب التاريخ[٢].

السؤال الثالث

فدك وبهذه العظمة؛ أين كانت؟ قصدنا: هل كانت عائدة إلى شخص النبي ﷺ أم لعموم المسلمين؟

الجواب

للإجابة على هذا السؤال، نجد أنفسنا بحاجة إلى مقدمة عن معركة خيبر:

فمنذ أن سطع نور الإسلام على المدينة، رأى اليهود الذين كانوا يسكنون فيها وفي المناطق المجاورة لها أنفسهم متورطين بالنتائج

---

(١) المقصود فترة حياة ابن أبي الحديد حيث كانت الكوفة معروفة بكثرة نخيلها.

(٢) نموذج ذلك، يراجع المجلد الثاني عشر من «الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء».

المباشـرة لأعمالهـم وممارسـاتهم، حتى أن البعض منهـم، مثل قبائل «بني قينقاع» و «بني النظير» طُرِدوا من المدينة، وسـكنوا في «خيبر»[١] و «وادي القرى» و «أذرعات الشام».

وبسـبب المؤامرات التي كان يحيكها ساكنوا خيبر وأعوانهم مع يهود «غطفان» و «فزارة» وبسبب الخطط التي كانوا يرسمونها مع المشركين وعبدة الأوثان ضد المسـلمين، و بسبب العديد من القضايا التي يطول شرحها، قام النبي الأكرم ﷺ بإرسال «١٦٠٠» شخص من المسلمين إلى خيبر.

وكانت النقاط الحساسـة والطرق المؤدية إلى الحصون السـبعة المنيعـة لخيبر، وهي عبارة عن حصون «ناعـم» و «قموص» و «كتيبة» و «نسطاة» و «شق» و «وطيح» و «سلالـم»، فيما كانت بعض الحصون مسماة باسم أحد قادتها، مثل حصن مرحب وغيره..

وللمقتضيات العسـكرية وطبيعة هذه الحصون والأبراج القريبة منهـا، فقد فتحت من قبل المسـلمين ليلاً.. بعد أن حاصرها المقاتلون المسـلمون الواحـدة بعـد أخرى.. حتـى أنهم كانـوا يقطعـون الطرق والأنفاق الموصلة بينها...[٢]

(١) جاء في تاريخ اليعقوبي، المجلد الثاني، ص ٤٦، آمده: كانت في شمال المدينة و على بعد ٣٢ فرسخاً أراض زراعية واسعة، وقد سخرها اليهود لأنفسهم قبل البعثة النبوية، وكانت فيها حصون سبعة عتيدة ومنيعة، وكان يسكن خيبر حوالي عشرون ألف نسمة، من بينهم الكثير من المقاتلين والأبطال.

(٢) لا ريب أن الذين حملوا رايات المسلمين، مثل الأول والثاني لفتح بعض هذه الحصون فروا من المعارك بعد أن كلفوا المسلمين خسائر جسيمة وإمكانات هائلة، وعادوا إلى معسكر النبي خائبين، الأمر الذي أدى إلى إلحاق أضرار لا

عيـن النبي ﷺ سـفيراً على منطقة فـدك القريبة مـن خيبر، إذ كانت فدك نقطة ارتكاز اليهود بعد منطقة خيبر، أما يوشع بن نون الذي كان يتزعـم المنطقـة، فقد اختار الصلح على القتـال حينما رأى هزيمة وانكسـار اليهـود فـي قلاعهم السبع والمناطـق المحاذيـة الأخرى.. وأعطـى ملكيـة فدك لنبـي الإسـلام ﷺ وقـد تقـرر إذ ذاك أن يبقى يهـود فدك عمالاً عليها للنبي، وأن يكون نصف حاصلها ثمناً لعملهم، والنصف الآخر لرسول الله ﷺ يحمل إليه سنوياً.. وقد تعهد اليهود أن يعيشوا تحت لواء الإسلام، وأن لا يتآمروا ضد المسلمين.

إلى هنا: نصل إلى نقطة حساسة ومهمة من البحث...

وهـي: أن المناطـق التـي تفتـح على يـد المسـلمين و الجيوش المسـلمة، تكون خاضعـة لعمومهم، وتدار من قبل الحاكم المسـلم.. ولكن المناطق -مثل منطقة فدك- التي تسقط تحت سيطرة المسلمين بلا قتال، فإنها تخضع لشـخص النبي مباشـرة، ثم الإمـام الذي يليه.. ويسـمى هـذا الخضوع فـي الاصطـلاح الفقهـي «الفـيء»، ويختلف اختلافاً كبيراً مع ما يسمى بالغنيمة.. حيث أن الفيء أمر خاص بملكية النبـي والإمام من بعده.. بمعنى أنه ﷺ قـادر على هبته أو تأجيره أو

تعوض بجيش المسلمين، إلا أن علياً عليه السلام وهو الكرار، هاجم قلاع اليهود «مهرولاً» حاملاً سيفه ذا الفقار، وقتل الحارث ومرحب، وكانا أخوين بطلين من كبار أبطال تلك القلاع.. حتى حقق الفتح للمسلمين.. وكان هذا الفتح من أهم أسباب تنامي واشتداد حقد اليهود على المسلمين، ولا يزال اليهود يحملون هذا الحقد الدفين في قلوبهم رغم مرور أكثر من «١٤٠٠» عام، إذ ما يزال يشير حاخامات اليهود إلى رغبتهم بالانتقام من فاتحي خيبر!...

تمليكه للمحتاجين من ذوي قرباه.... وإن شرح هذه القضية متوفر في الكتب الفقهية، في باب الجهاد، تحت عنوان «الفيء»[١].

ونستنتج من ذلك أن فدكاً وصلت النبي وملكها صلى الله عليه وآله وسلم تحت عنوان الفيء.

السؤال الرابع

إذن؛ فلماذا تنسب فدك للصديقة الزهراء عليها السلام؟

الجواب

نعم، الأمر كذلك فحينما نزل[٢] قوله جل وعلا: ﴿**وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ**﴾[٣]، تشير الروايات في هذا الباب إلى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم طلب ابنته فاطمة عليها السلام وأهداها فدكاً[٤]، وصارت ملكاً شخصياً للسيدة الزهراء عليها السلام في حياة أبيها صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) لمزيد من الإطلاع على موضوع "الفيء" تراجع الآية السادسة من سورة الحشر وتفسيرها.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٢٦، ومثلها الآية ٣٨، سورة الروم.

(٣) حينما نزلت الآية ٢٦، من سورة الإسراء، سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم جبرئيل عن ذي القربى.. فأجابه جبرئيل: اعط فاطمة فدكاً لتوسع عليها وعلى ولديها، عوضاً عما أنفقت أمها خديجة في سبيل الله، كتاب فدك، تأليف آية الله السيد محمد حسن القزويني، نقلاً عن ترجمة السيد محمد حسن القزويني، نقلاً عن ترجمة السيد أحمد علم الهدى، ص ١٨.

(٤) مجمع البيان: المجلد، ٣، ص ٤١١، شرح ابن أبي الحديد: المجلد ١٦، ص ٢٤٨، تفسير الدر المنثور: المجلد ٤، ص ١٧٧.

السؤال الخامس

هل هناك شـواهد تاريخية، أو روايات تؤكد أن فدكاً صارت ملكاً شخصياً للزهراء في حياة النبي ﷺ أو كونها قد تصرفت بها آنذاك؟

الجواب

نعم، هناك دلائل كثيرة جداً تؤكد ملكية الصديقة الطاهرة عليها السلام لفدك، إضافة إلى وجود عمال من جانبها على أرض فدك[١].

ولكـن يجـب أن نشـير إلـى أن عصمـة الزهراء عليها السلام ورسـالة الصديق الأكبر والفاروق الأعظم، أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى واليه على البصرة[٢] التي صرح فيها بمالكية فدك، يغنينا عن سـائر الشـواهد الأخرى وقد قال عليه السلام فيها:

«بلى؛ كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلته السماء فَشَحَّت عَلَيها نُفُوس قَوْمٍ، وَسَخَت عنْها نُفُوس قومٍ آخرين، ونِعْمَ الحَكَمُ الله»[٣].

السؤال السادس

مع وجود كل هذه الأدلة القاطعة فيما يتعلق بفدك، فلماذا أسرع الأعداء إلى غصب الزهراء عليها السلام حقها وملكيتها لفدك؟

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: المجلد ٢، ص ٢١١، تهذيب الأحكام: المجلد ٤، ص ١٤٩.
(٢) عثمان بن حنيف.
(٣) نهج البلاغة، الرسالة ٤٥.

الجواب

نقول باختصار: لقد كان غاصبوا خلافة أمير المؤمنين عليه السلام الربانية قلقين جداً من احتمال استعانته عليه السلام بعائدات فدك العظيمة لمواجهة الحكومة الغاصبة والصراع معهم.. إذ كان متوقعاً لأمير المؤمنين عليه السلام أن يقوم بذلك، كما قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالاستعانة بأموال أم المؤمنين خديجة -سلام الله عليها- لنشر الإسلام.. ولذلك فقد كانت فدك هدفاً أصلياً ومباشراً للأعداء، بل حولوها إلى وسيلة لمواجهة مقام الإمامة والولاية المطلقة لأمير المؤمنين عليه السلام.

السؤال السابع

جاء في تعاليمنا الدينية ومبادئنا العقائدية أن الصديقة الزهراء عليها السلام كانت سيدة زاهدة، حتى أن كفيها الشريفتين كانتا تتأذيان من العمل في البيت، وغير ذلك مما يشير إلى زهدها وتعففها.. فلماذا -والحال هذه- لم تتنازل عن فدك، مما كلفها تعرضها للضرب من قبل الأعداء الغرباء.. ترى ما هو السر في هذه القضية؟!

الجواب

كما أشرنا في الإجابة السابقة ومع أصل موضوع فدك أي تملك النبي صلى الله عليه وآله وسلم لها، ثم تمليكها للسيدة الزهراء عليها السلام.. نجد أن النقطة المركزية في جميع أطرافها، هي مقام الإمامة وولاية مولى الموحدين أمير المؤمنين علي عليه السلام.

بمعنى أن المنصب الإلهي ومقام ولاية أمير المؤمنين عليه السلام كان

له أن يتكرس وينتشر بالاستعانة بعائدات فدك العظيمة بين المسلمين ليلتفوا حول أهل البيت عليهم السلام.. وهو الأمر الذي كان أعداء الزهراء عليها السلام يعجزون عن مجرد تصوره.. فأرادوا أن يجرّوا الناس إليهم عبر الاستيلاء على فدك ومحاصيلها الكثيرة[١].

وكذلك كانوا يعرفون أن السيدة الزهراء عليها السلام، حيث تدافع عن حقها في فدك، فإنها تدافع عن أصل ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وإمامته أساساً.. ومن هنا، فقد غصبوا فدك وأخرجوا مزارعيها وعمالها، تضعيفاً منهم لأهل البيت عليهم السلام وإعلاناً لصراعهم ضد ولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

ولذلك؛ فإن ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم تقصد بيت أبي بكر للمطالبة بفدك، وإنما يممت شطر المسجد النبوي، وهو قاعدة الإسلام مع ثلة من المؤمنات، وألقت خطبتها الغراء، دفاعاً عن حقها؛ وعن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وهي الخطبة التي تعد من جملة كراماتها ومعاجزها عليها السلام.

ومن ناحية أخرى، فإن الصديقة الزهراء كانت تطالب بحقها، وهذا أمر لا يتنافى بوجه من الوجوه مع الزهد.. بل إن من الواجب أن لا يتنازل المرء عن حقه لغاصبٍ أو معتدٍ..

السؤال الثامن

مع تواتر وتكرر قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنَّ اللـه يَرْضى لِرضا

(١) طبقاً للآية السابعة من سورة المنافقين، فقد قاموا بمثل هذا العمل ضد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً.

فاطِمة ويَغْضَب لِغَضَبها»[١] فهل حدث أن أعلن أعداؤها ومؤذوها عن ندمهم؟

الجواب

مع توفر المسانيد والأدلة المعتبرة التي تؤكد ملكية السيدة الزهراء عليها السلام لفدك، فإن الأول والثاني وأعوانهم قد تحالفوا للصراع ضد ولاية أمير المؤمنين عليه السلام المطلقة، وضد المدافعة الوحيدة والمحامية عن

(١) الاحتجاج: المجلد ٢، ص ١٠٣، الخصائص الفاطمية: المجلد ٢، ص ٥٨٧، مؤتمر علماء بغداد: ص ١٨٧، مواقف الشيعة: المجلد ٣، ص ١٢٧، نهج السعادة: المجلد ٧، ص ٣١١.
وردت نصوص كثيرة جداً عن نبي الإسلام صلى الله عليه وآله تكشف عن قدر ومنزلة ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام، مثل:
ألف: «فاطمةُ بضْعَةٌ مِنِّي يُريبُني ما رابَها، وَيُؤْذيني ما آذاها» صحيح البخاري ومسلم والترمذي، مسند أحمد: المجلد ٤، ص ٣٢٨، الخصائص النسائية: ص ٣٥.
باء: قال صلى الله عليه وآله وقد أمسك بيدي ابنته «مَنْ عَرَفَ هذِهِ فقَدْ عَرَفها، ومن لَمْ يَعرِفْها، فَهِي بضعَةٌ مِني، هيَ قَلبي وَروحي التي بَين جنْبَيَّ، فَمَنْ آذاهَا فقَدْ آذاني، ومن آذَاني فقَدْ آذى الله» الفصول المهمة: ص ١٥٠، نزهة المجالس لِلصفوري الشافعي: المجلد ٢، ص ٢٢٨، نور الأبصار: ص ٤٥.
جيم: قال صلى الله عليه وآله لابنته: «إن الله يَغْضَبُ لغَضَبِكِ ويَرضى لرضاكِ» مستدرك الصحيحين: المجلد ٣، ص ١٥٤، التذكرة: ص ١٧٥ - ٣٢٠، مقتل الحسين للخوارزمي الحنفي: المجلد ١، ص ٥٢، كفاية الطالب: ص ٢١٩.
دال: «فاطِمة بَضْعَة مني، فمَن أَغْضبَها فَقَدْ أَغضَبني»، صحيح البخاري: المجلد ٥، ص ٢١ - ٢٩، الخصائص للنسائي: ص ٣٥.

الولاية، أعني ابنة رسول الله ﷺ، إذ نالوها ضرباً وشتماً، حتى أسقطت جنينها، الشهيد المحسن بن علي عليه السلام.. وأصيبت بجراح كثيرة أدت إلى استشهادها عليها السلام، ومع ذلك كله، فإنهم ضاعفوا من ظلمهم لأهل البيت عليهم السلام، فضلاً عن عدم إعلانهم وإظهارهم للندم..

بلى، إنهم تظاهروا بعيادة السيدة الزهراء عليها السلام لأسباب سياسية وإعلامية، ولكنهما -الأول والثاني- لم يظهرا أي ندم في مجلس عيادتها أبداً..

وقد كانت حادثة العيادة هذه بعد أن ألقت الصديقة الزهراء عليها السلام خطبة على نساء المهاجرين والأنصار، بعد خطبتها الشهيرة التي ألقتها في المسجد النبوي.. وبعدها قام عدد من المهاجرين والأنصار بعيادتها.. وهي التي أعلنت في خطبتها تلك عن غضبها وانزعاجها من الأعداء وأذاهم.. وقد بلغهما سخط الزهراء عليها السلام فارتأيا خلق جو سياسي وإعلامي لصالحهما، فاضطرا لعيادتها، فلم تأذن لهما، لولا وساطة أمير المؤمنين عليه السلام طبقاً لتصريحها عليها السلام.

وحتى بعد دخولهما، فإنها امتنعت عن جواب سلامهما، وأدارت وجهها المقدس عنهما، وأكدت لهما سخطها عليهما بطرق عديدة، ولم تكلمهما إلا بعد إصرار شديد صدر عنهما، ونقلت المصادر المعتبرة تقول:

فَانْطَلَقَا -الأول والثاني- فَاسْتَأْذَنَا عَلَى فَاطِمَةَ، فَلَمْ تَأْذَنْ لَهُمَا، فَأَتَيَا عَلِيّاً عليه السلام فَكَلَّمَاهُ، فَأَدْخَلَهُمَا عَلَيْهَا، فَلَمَّا قَعَدَا عِنْدَهَا حَوَّلَتْ

وَجْهَهَا إِلَى الْحَائِطِ فَسَلَّمَا عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرُدَّ عَلَيْهِمَا السَّلَامَ، فتكَلَّم ابْن أبي قُحافة، فقَالَ: يَا حَبِيبَةَ رَسُولِ اللَّهِ! وَ اللَّهِ إِنَّ قَرَابَةَ رَسُولِ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قَرَابَتِي وَ إِنَّكِ لَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عَائِشَةَ ابْنَتِي، وَ لَوَدِدْتُ يَوْمَ مَاتَ أَبُوكِ أَنِّي مِتُّ وَ لا أَبْقَى بَعْدَهُ، أَ فتَرَانِي أَعْرِفُكِ وَ أَعرِفُ فَضْلَكِ وَ شَرَفَكِ وَ أَمْنَعُكِ حَقَّكِ وَ مِيرَاثَكِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ؟! إِلَّا أَنِّي سَمِعْتُ أباكِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: لَا نُورِثُ، مَا تَرَكْنَاهُ فَهُوَ صَدَقَة.

فَقَالَتْ: «أَ رَأَيْتُكُمَا إِنْ حَدَّثْتُكُمَا حَدِيثاً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَعْرِفَانِه وتفعلان به؟»

قَالَا: نَعَمْ.

فَقَالَتْ: «نَشَدْتُكُمَا بِاللَّهِ أَ لَمْ تَسْمَعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: رِضَا فَاطِمَةَ مِنْ رِضَايَ وَ سَخَطُ فَاطِمَةَ مِنْ سَخَطِي، وَ مَنْ أَحَبَّ فَاطِمَةَ ابْنَتِي أَحَبَّنِي، وَ مَنْ أَرْضَى فَاطِمَةَ فَقَدْ أَرْضَانِي وَ مَنْ أَسْخَطَ فَاطِمَةَ فَقَدْ أَسْخَطَنِي».

قَالَا: نَعَمْ سَمِعْنَاهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

قَالَتْ عليها السلام: «فَإِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَ مَلَائِكَتَهُ أَنَّكُمَا أَسْخَطْتُمَانِي وَ مَا أَرْضَيْتُمَانِي، وَ لَئِنْ لَقِيتُ النَّبِيَّ ﷺ لَأَشْكُوَنَّكُمَا إِلَيْه».

فقال ابْن أبي قُحافة: أنا عَائِذ بِاللَّهِ مِنْ سَخَطِهِ وَ سَخَطِكِ يَا فَاطِمَةُ...

فقالت عليها السلام لابن أبي قحافة: «والله لَأدعُوَنَّ الله علَيكَ في كُل

صَلاةٍ أُصَليها»[١].

ومع ذلك، لم يظهرا ندمهما ولو بكلمة واحدة، ولم يعيدا فدك لها، ولم يسلما الخلافة لأمير المؤمنين عليه السلام وإنما كانا يؤكدان ويشددان من عدائهما لأهل البيت عليهم السلام يوماً بعد يوم..

وتأييداً لما تقدم.. لاحظوا المسألة أدناه:

نقل سليم بن قيس:

منع الثاني عاماً ونصفاً جميع عماله حقوقهم تغريماً لهم وسداً لنقص خراجه، إلا «قنفذا» ابن عمه، إذ أعطاه عطاءه كاملاً.

قال سليم: ذهبت إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرأيت جماعة جالسين في زاوية وكانوا جميعاً من بني هاشم إلا سلمان وأبو ذر والمقداد ومحمد بن أبي بكر وعمر بن أبي سلمة وقيس بن سعد بن عبادة؛ فقال العباس، عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأمير المؤمنين علي عليه السلام: لِمَ لَمْ يكسر ابن الخطاب من حقوق قنفذ كما فعل مع سائر عماله؟

فنظر علي عليه السلام إلى ما حوله، ثم ذرفت عيناه بقطرات من الدمع ثم قال للعباس: «شكَرَ لهُ ضَرْبة ضَرَبها فاطِمة بِالسوطِ فَماتتْ

(١) بيت الأحزان الشيخ عباس القمي رحمه الله: ص ٨٤، بحار الأنوار: المجلد ٢٨، ص ٣٥٧، الغدير: المجلد ٧، ص ٢٢٩، النص والاجتهاد: ص ٨٩، أعيان الشيعة: المجلد ١، ص ٣١٨، شرح إحقاق الحق آية الله المرعشي النجفي: المجلد ١٠، ص ٢١٧، مأساة الزهراء عليها السلام: المجلد ٢، ص ٢١٦، الإمامة والسياسة: المجلد ١، ص ٢٠.

وَفي عضُدها أَثَرُهُ كَأنهُ الدُّملج»[١].

السؤال التاسع

جاء في زيارة السيدة الزهراء عليها السلام العبارة التالية: «.. الْمَغْصُوبَةِ حَقُّهَا، الْمَمْنُوعَةِ إِرْثُهَا، الْمَكْسُورِ ضِلْعُهَا...»[٢] فهل لكم أن تبينوا حقيقة الأشخاص الذين ارتكبوا هذه الجرائم بحق ابنة نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم؟

الجواب

أشرت ضمن الأجوبة السالفة إلى أن غاصبي خلافة أمير المؤمنين عليه السلام الربانية قد ارتكبوا هذه الجرائم تحت طائلة أخذ البيعة منه، فارتكبوا هذه الجرائم وهجموا على بيت الوحي.. فأحرقوا الباب، وكسروا ضلع والدتي الزهراء الطاهرة المطهرة عليها السلام، وقتلوا جنينها المحسن عليه السلام..

السؤال العاشر

نقرأ في مقطع آخر من الزيارة الشريفة: «..الْمَقْتُولِ وَلَدُهَا..»[٣] فإلى أي من أولادها يشير هذا النص؟

---

(١) بحار الأنوار: المجلد ٣٠، ص ٣٠٣، بيت الأحزان الشيخ عباس القمي رحمه الله: ص ١٤٣.

(٢) مفاتيح الجنان: (ط، الفيض الكاشاني)، زيارة السيدة الزهراء عليها السلام: ص ٥٢٣.

(٣) نفس المصدر.

الجواب

المقصود من ولدها المقتول، هو المحسن عليه السلام[1].

السؤال الحادي عشر

برأي سماحتكم، ما هي حدود العزاء على مصيبة السيدة الزهراء عليها السلام؟ وهل يفترض أن تكون مساحة الشعائر الفاطمية كمساحة الشعائر الحسينية؟

الجواب

العزاء لمصائب الصديقة الزهراء عليها السلام من شعائر الله تعالى، وعلى هذا، فإن كلاً منا مسؤول عن المشاركة والسعي لإقامة مراسم العزاء الفاطمي بما أوتينا من إمكانات جسمية ومادية، وأن لا نقصر

---

(١) أوصت الروايات بأهمية انتخاب اسم للجنين وهو في بطن أمه، وإذا لم يعلم حقيقة الجنين وجنسه، فليعين له اسم مشترك بين الابن والبنت، أو اسم خاص، ليتم تحديده عند الولادة، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يختار لأولاده وأحفاده أسماء قبل ولادتهم، وليس المحسن مستثنى عن هذه القاعدة، وهناك روايات عديدة تؤكد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي اختار له هذا الاسم.

ونقل الإمام الصادق عليه السلام عن جده أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: "... اختاروا لأولادكم أسماءهم قبل ولادتهم، فإذا كانوا سقطاً ولم يختر لهم اسم، شكوا إلى الله والديهم يوم القيامة.."، وسائل الشيعة: المجلد ٢١، ص ٣٨٧، فروع الكافي: المجلد ٦، ص ١٨، بحار الأنوار: المجلد ١٠، ص ١١٢، والمجلد ٤٣، ص ١٩٥، والمجلد ١٠١، ص ١٢٨، جواهر الكلام: المجلد ٣١، ص ٢٥٥، الحدائق الناضرة: المجلد ٣٥، ص ٤٠، علل الشرائع: المجلد ٢، ص ٤٦٤، الخصال: ص ٦٣٤، مأساة الزهراء عليها السلام: المجلد ٢، ص ١٢٨، الخصائص الفاطمية: المجلد ٢، ص ٥٦٩.

فـي هذا المجال أبداً، بدءاً بإقامة مراسـم العـزاء والمجالس والإطعام وجمع التبرعـات للإطعام، وإطلاق المواكب في الشـوارع والأزقة.. على أن الخدمة في سـبيل السـيدة الزهراء عليها السلام منوطة بمدى التوفيق الإلهي..

وأما بخصوص مدى حدود العزاء الفاطمي، فينبغي القول: رغم توافر الروايات الصحيحة القائلة بأفضلية الصديقة الزهراء عليها السلام على الإمام الحسـين عليه السلام إلا أن المؤسف كون الشعائر الفاطمية لم تصل -في الدنيا- إلى مدى الشعائر الحسينية..

وعلـى ذلك، فإن من الجدير، بل ومن المسـتحب أن يتم العمل علـى إطلاق مسـيرات اللطم وضرب السلاسـل فـي الأيـام الفاطمية بشـكل أكثر اتسـاعاً، على أن العزاء الخاص بعاشـوراء ينبغي أن يكون على اتسـاعه وهيبتـه وحرمته، ذلـك لأن الله عز وجل يعتبر شـخصية الحسين عليه السلام ومصائبه العظمى أمراً استثنائياً لا نظير لهما..

السؤال الثاني عشر

هـل لكـم أن تتفضلـوا بتبيـان قضيـة التوسـل بالصديقـة فاطمة الزهراء عليها السلام ومرتبة شفاعتها في يوم القيامة؟

الجواب

إن نظام «التوسـل» وقانون «التسـبب» حقيقـة تكوينية وناموس طبيعـي مفـروغ منهمـا، وقـد قـال تبـارك وتعالى فـي القـرآن الكريم،

وانطلاقاً من الفطرة الإنسانية التي قد خلقها:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[١] وهناك آيات[٢] عديدة قد ساقها القرآن المجيد وروايات كثيرة جداً فيما يتعلق بقضية التوسل..

فحينما يأمر الله تعالى نبيه بالتوسل بأهل البيت، فكيف لنا أن نرد ونرفض مقولة التوسل، ونعتبرها شركاً.. والغريب جداً أن من يرفض هذه الإرادة الإلهية وهذا المبدأ الرباني يعتبر نفسه مسلماً وداعياً للإسلام!!

وعن رسول الله ﷺ أنه قال:

«لمَّا خَلق الله تعالى آدم أَبَا البشَر وَنَفَخ فيهِ من روحِهِ التَفَتَ آدمُ يُمنة العرشِ فإذا في النور خمْسة أشباحٍ سُجداً وركعاً، قال آدم: هلْ خلقتَ أحداً من طينٍ قبلي؟

قال: لا يا آدَمُ.

قال: فمنْ هؤُلاء الخمسَةُ الأشباح الذين أراهُم في هيئتي وَصورتي؟

قال: هؤلاء خمسةٌ من ولدكَ، لولاهم ما خلقتُك، هؤلاء خمسة شققت لهم خمسة أسماء من أسمائي، لولاهم ما خلقتُ الجنة والنار، ولا العرش، ولا الكرسي، ولا السماء، ولا الأرض، ولا الملائكة، ولا

---

(١) سورة المائدة، الآية ٣٥.

(٢) مثل الآية ١٠٣ من سورة آل عمران، والآيتين ٥٦ و ٥٧ من سورة الإسراء.

الإنس، ولا الجن، فأنا المحْمُود وهذا محمَّد، وأنا العالي وهذا علي، وأنا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا الإحسان وهذا الحسنُ، وأنا المحسن وهذا الحسينُ.. آليتُ بعزَّتي أنْ لا يأتيني أحد بمثقال ذرة من خردلٍ من بغض أحدهم إلا أدْخله ناري ولا أبالي.

يا آدم هؤلاء صفوتي، بهم أنجيهم وبهم أهلكهم، فإذا كان لك إلي حاجة فبهؤلاء توسَّل.

فقال النبي ﷺ: نحن سفينة النجاةِ، من تعلق بها نجا ومن حاد عنها هلكَ، فمن كان إلى الله حاجة فليسأل بنا أهل البيت»[1].

والصديقة الطاهرة المقدسة الزهراء عليها السلام أشارت كذلك في خطبتها التي تعد بحق جذوة المعارف الإسلامية، إلى الآية الخامسة والثلاثين من سورة المائدة، حيث قالت:

« فاحمدوا الله الذي بنوره و عظمتِهِ ابتَغَى مَنْ في السَّماواتِ و مَنْ في الأرضِ إلَيه الوَسيلَةَ، فنَحْنُ وَسيلتُهُ في خَلْقِه، و نَحْنُ آلُ رسُولِهِ، و نَحْنُ حُجَّةُ غَيبِهِ وَ وَرَثَةِ أنبيائِهِ...»[2].

(١) الغدير: المجلد ٢، ص ٣٠٠، شرح إحقاق الحق، آية الله المرعشي النجفي: المجلد ٩، ص ٢٥٤، كتاب الأربعين، للماحوزي: ص ٣٩٦، خلاصة عبقات الأنوار، المجلد ٤، ص ٢١٤، غاية المراد للبحراني: المجلد ١، ص ٢٦، مصباح الهداية في إثبات الولاية: ص ١٤٧، الأسرار الفاطمية: ص ١٦١، نفحات الأزهار: المجلد ٤، ص ٢١٣.

(٢) نقلت هذه الفقرة من خطبتها في مصادر مهمة، مثل دلائل الإمامة لابن جرير الطبري الشيعي: ص ١١٤، مواقف الشيعة: المجلد ١، ص ٤٧٤، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: المجلد ١٦، ص ٢١١.

أي: أنكم إذا أردتم القرب من الله تعالى، فعليكم أن تأتوه من خلال وعن طريق التوسل بالزهراء وأبيها وبعلها وبنيها عليهم السلام لأنه -هذا الطريق- أفضل وأسرع طرق التوسل، حيث يوصل الإنسان إلى هدفه -وهو الاستجابة- بأسرع ما يكون وما يمكن.. بل هو الطريق الأوحد المتاح للمسلمين، وذلك لأن أهل البيت عليهم السلام قالوا عن مقام فاطمة الزهراء عليها السلام: «نَحْنُ حجَجُ الله علَى الخَلائِق، وأُمنَا فاطِمَةُ حُجَّةُ الله عَلَينَا»[١].

ولهذا السبب، فقد روي أن الإمام محمد الباقر عليه السلام أصيب بالحمى ذات مرة، فتوسل بجدته الصديقة الزهراء عليها السلام وقد علا صوته وهو يقول في فراش المرض: «يا فاطمة! يا ابنة رسول الله..» بحيث سمع صوته من خارج الدار..![٢]

وكذلك يقول مولانا الحجة بن الحسن -عجل الله فرجه وروحي له الفداء-: «وفي ابنَةِ رسولِ الله لي أُسوةٌ حسَنة»[٣] ونحن من جانبنا أيضاً، وحيث نعتبر أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام قدوات لنا، علينا أن نتوسل بالحجة الإلهية عليهم وعلى عباد الله جميعاً، أي الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام.. وذلك عن طريق الأدعية والزيارات

---

(١) عن الإمام العسكري عليه السلام في تفسير أطيب البيان: المجلد ١٣، ص ٢٣٥، الأسرار الفاطمية: ص ١٧، ورويت عن الإمام الرضا عليه السلام بلفظ: «... حجج الله عليكم..» في الانتصار: المجلد ٧، ص ٢٣٧.

(٢) بحار الأنوار: المجلد ٥٩، ص ١٠٢، الكافي: المجلد ٨، ص ١٠٩.

(٣) الغيبة للطوسي: ص ١٧٣، بحار الأنوار: المجلد ٥٣، ص ١٨٠.

والختوم[١] والأذكار، وعبر المشاركة في المجالس التي تقام باسم هذه السيدة المظلومة الشهيدة عليها السلام.. وكذلك عبر المساهمة في مراسم العزاء والمواكب الفاطمية.. بكل نحو ممكن..

وإن إحدى طرق التوسل بالسيدة البتول عليها السلام: صلاة الاستغاثة بها..[٢] قال المرحوم الشيخ عباس القمي رحمه الله:

متى ما كانت لديك حاجة وضاق صدرك بالمشاكل، فصل ركعتين[٣] وبعد التسليم كبر ثلاثاً وسبح بتسبيح الزهراء عليها السلام ثم قل[٤]: «يا مولاتي يا فاطمة أغيثيني» مائة مرة في السجود، ثم ضع خدك الأيمن على الأرض وكرره مائة مرة، وكذلك ضع جبهتك على الأرض وقله مائة مرة، ثم ضع خدك الأيسر على الأرض وكرره مائة مرة، ثم تسجد بجبتهك وتردده مائة وعشر مرات، وتطلب حاجتك.. فإن الله تعالى يستجيب لك ببركة السيدة الزهراء عليها السلام[٥].

---

(١) أحد الختوم المجربة كثيراً، أن تتجه القبلة وتقول بإخلاص ٥٣٠ مرة «اللهم صل على فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها عدد ما أحاط به علمك».

(٢) حاشية «مفاتيح الجنان، ط الفيض الكاشاني»، كتاب الباقيات الصالحات: ص ٤٢٢.

(٣) بنية صلاة الاستغاثة بالسيدة الزهراء عليها السلام.

(٤) هو التسبيح المشهور الذي علمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لابنته فاطمة عليها السلام وأوصاها بالعمل به بعد كل صلاة.. «٣٤» مرة الله أكبر، «٣٣» مرة الحمد لله، «٣٣» مرة سبحان الله.

(٥) قد أورد الشيخ عباس القمي صلاة استغاثة أخرى بالصديقة الزهراء عليها السلام فقال: تصلي ركعتي صلاة الاستغاثة بالزهراء، ثم تكرر الذكر الشريف: «يا فاطمة» مائة مرة في السجود، ثم حين تضع خدك الأيمن، وكذلك مائة مرة

أما المسألة الثانية، فهي بخصوص سؤالكم عن شفاعة الصديقة الطاهرة عليها السلام فنقول: إن الشفاعة أمر ثابت في الآيات[1] والروايات الإسلامية.. وليس من مخلوق إلا ويحتاج إلى الشفاعة في يوم القيامة.

وعن شفاعة السيدة الزهراء عليها السلام فكذلك هناك من الروايات الكثير.. من جملتها رواية رائعة للغاية نقلها الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري:

«قَالَ: لِأَبِي جَعْفَرٍ »الباقر« عليه السلام: جُعِلْتُ فِدَاكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ! حَدِّثْنِي بِحَدِيثٍ فِي فَضْلِ جَدَّتِكَ فَاطِمَةَ، إِذَا أَنَا حَدَّثْتُ بِهِ الشِّيعَةَ

حين تضع خدك الأيسر على الأرض، ثم تكرر حين تضع جبهتك على الأرض مائة وعشر مرات، وتقول بعد ذلك: «يا آمناً من كل شيء وكل شيء منك خائف حذر، أسألك بأمنك من كل شيء وخوف كل شيء منك، أن تصلي على محمد وآل محمد وأن تعطيني أماناً لنفسي وأهلي ومالي وولدي حتى لا أخاف ولا أحذر من شيء أبداً، إنك على كل شيء قدير»، كتاب الباقيات الصالحات، في حاشية مفاتيح الجنان «ط الفيض الكاشاني»: ص ٤٢٤.

(١) نلفت انتباهكم إلى نماذج من هذه الآيات:

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ سورة البقرة، الآية ٢٥٥.

﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ سورة الأنبياء، الآية ٢٨.

﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ سورة يونس، الآية ٣.

﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ سورة مريم، الآية ٨٧.

﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ سورة طه، الآية ١٠٩.

﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ سورة سبأ، الآية ٢٣.

﴿لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ سورة النجم، الآية ٢٦.

فَرِحُوا بِذَلِكَ.

فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: «حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، قَالَ:

إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نُصِبَ لِلْأَنْبِيَاءِ وَ الرُّسُلِ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ، فَيَكُونُ مِنْبَرِي أَعْلَى مَنَابِرِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ: يَا مُحَمَّدُ اخْطُبْ، فَأَخْطُبُ بِخُطْبَةٍ لَمْ يَسْمَعْ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَ الرُّسُلِ بِمِثْلِهَا.

ثُمَّ يُنْصَبُ لِلْأَوْصِيَاءِ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ، وَ يُنْصَبُ لِوَصِيِّي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي أَوْسَاطِهِمْ مِنْبَرٌ، فَيَكُونُ مِنْبَرُهُ أَعْلَى مَنَابِرِهِمْ.

ثُمَّ يَقُولُ: يَا عَلِيُّ! اخْطُبْ، فَيَخْطُبُ بِخُطْبَةٍ لَمْ يَسْمَعْ أَحَدٌ مِنَ الْأَوْصِيَاءِ بِمِثْلِهَا.

ثُمَّ يُنْصَبُ لِأَوْلَادِ الْأَنْبِيَاءِ وَ الْمُرْسَلِينَ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ، فَيَكُونُ لِابْنَيَّ وَ سِبْطَيَّ وَ رَيْحَانَتَيَّ أَيَّامَ حَيَاتِي مِنْبَرٌ مِنْ نُورٍ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُمَا: اخْطُبَا، فَيَخْطُبَانِ بِخُطْبَتَيْنِ لَمْ يَسْمَعْ أَحَدٌ مِنْ أَوْلَادِ الْأَنْبِيَاءِ وَ الْمُرْسَلِينَ بِمِثْلِهَا!

ثُمَّ يُنَادِي الْمُنَادِي -وَ هُوَ جَبْرَئِيلُ- عليه السلام أَيْنَ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ؟ ...فتقوم.

إلى أنْ قال: فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى: يَا أَهْلَ الْجَمْعِ لِمَنِ الْكَرَمُ الْيَوْمَ؟ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ وَ عَلِيٌّ وَ الْحَسَنُ وَ الْحُسَيْنُ: لله الواحِدِ القهَّارِ.

فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يَا أَهْلَ الْجَمْعِ إِنِّي قَدْ جَعَلْتُ الْكَرَمَ لِمُحَمَّدٍ وَ عَلِيٍّ وَ فَاطِمَةَ وَ الْحَسَنِ وَ الْحُسَيْنِ!

يَا أَهْلَ الْجَمْعِ! طَأْطِئُوا الرُّءُوسَ وَ غُضُّوا الْأَبْصَارَ، فَإِنَّ هَذِهِ فَاطِمَةُ تَسِيرُ إِلَى الْجَنَّةِ.. فَيَأْتِيهَا جَبْرَئِيلُ بِنَاقَةٍ مِنْ نُوقِ الْجَنَّةِ، مُدَبَّجَةَ الْجَنْبَيْنِ، خِطَامُهَا مِنَ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ، عَلَيْهَا رَحْلٌ مِنَ الْمَرْجَانِ، فَتُنَاخُ بَيْنَ يَدَيْهَا فَتَرْكَبُهَا، فَيَبْعَثُ اللَّهُ مِائَةَ أَلْفِ مَلَكٍ لِيَسِيرُوا عَنْ يَمِينِهَا، وَ يَبْعَثُ إِلَيْهَا مِائَةَ أَلْفِ مَلَكٍ عَنْ يَسَارِهَا، وَ يَبْعَثُ إِلَيْهَا مِائَةَ أَلْفِ مَلَكٍ يَحْمِلُونَهَا عَلَى أَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يُصَيِّرُوهَا عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا صَارَتْ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ تَلْتَفِتُ!

فَيَقُولُ اللَّهُ: يَا بِنْتَ حَبِيبِي! مَا الْتِفَاتُكِ وَ قَدْ أَمَرْتُ بِكِ إِلَى جَنَّتِي؟

فَتَقُولُ: يَا رَبِّ أَحْبَبْتُ أَنْ يُعْرَفَ قَدْرِي فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ!

فَيَقُولُ اللَّهُ: يَا بِنْتَ حَبِيبِي! ارْجِعِي فَانْظُرِي مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ حُبٌّ لَكِ أَوْ لِأَحَدٍ مِنْ ذُرِّيَّتِكِ خُذِي بِيَدِهِ فَأَدْخِلِيهِ الْجَنَّةَ!

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: وَ اللَّهِ يَا جَابِرُ! إِنَّهَا ذَلِكَ الْيَوْمَ لَتَلْتَقِطُ شِيعَتَهَا وَ مُحِبِّيهَا، كَمَا يَلْتَقِطُ الطَّيْرُ الْحَبَّ الْجَيِّدَ مِنَ الْحَبِّ الرَّدِيءِ، فَإِذَا صَارَ شِيعَتُهَا مَعَهَا عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ، يُلْقِي اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ أَنْ يَلْتَفِتُوا، فَإِذَا الْتَفَتُوا يَقُولُ اللَّهُ تعالى: يَا أَحِبَّائِي! مَا الْتِفَاتُكُمْ، وَ قَدْ شَفَّعْتُ فِيكُمْ فَاطِمَةَ بِنْتَ حَبِيبِي؟!

فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ أَحْبَبْنَا أَنْ يُعْرَفَ قَدْرُنَا فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ.

فَيَقُولُ اللَّهُ: يَا أَحِبَّائِي ارْجِعُوا وَ انْظُرُوا: مَنْ أَحَبَّكُمْ لِحُبِّ فَاطِمَةَ؟!

انْظُرُوا مَنْ أَطْعَمَكُمْ لِحُبِّ فَاطِمَةَ؟!

انْظُرُوا مَنْ كَسَاكُمْ لِحُبِّ فَاطِمَةَ؟!

انْظُرُوا مَنْ سَقَاكُمْ شَرْبَةً فِي حُبِّ فَاطِمَةَ؟!

انْظُرُوا مَنْ رَدَّ عَنْكُمْ غَيْبَةً فِي حُبِّ فَاطِمَةَ؟!

فَخُذُوا بِيَدِهِ وَ أَدْخِلُوهُ الْجَنَّةَ!

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: وَ اللَّهِ لَا يَبْقَى فِي النَّاسِ إِلَّا شَاكٌّ أَوْ كَافِرٌ أَوْ مُنَافِقٌ، فَإِذَا صَارُوا بَيْنَ الطَّبَقَاتِ نَادُوا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ (١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ**﴾[١] فَيَقُولُونَ: ﴿**فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[٢].

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ! مُنِعُوا مَا طَلَبُوا ﴿**وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾[٣]»[٤].

(١) سورة الشعراء، الآية ١٠٠ - ١٠١.
(٢) سورة الشعراء، الآية ١٠٢.
(٣) سورة الأنعام، الآية ٢٨.
(٤) بحار الأنوار: المجلد ٨، ص ٥٤، والمجلد ٤٣، ص ٦٥، تفسير فرات الكوفي: ص ٢٩٨، الأسرار الفاطمية: ص ١٠٧، مكيال المكارم: المجلد ١، ص ٣١٨.

المحتويات